مجلة الرائد

العدد : ٢٣٢ الموافق في رمضان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١٢ ميلادي

عنوان المقال : الإرهاب في زمن العولمة !	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

يبدو أن معظم الأشياء اتخذ صبغة العولمة في هذا الزمان ؛ فالكرة الأرضية تحولت بحكم التداخل الكثيف على مختلف المستويات إلى قرية كونية صغيرة ، كما تشهد عولمة السياسة والنظام في صورة النظام العالمي الجديد ، وعولمة الاقتصاد في ظهور منظمة التجارة العالمية والشركات العالمية أو المتعددة الجنسية ، وعولمة الثقافة والإعلام ببروز التقنيات المُيسرة لنفوذ الثقافات والاتصال والاحتكاك .. وحتى الإرهاب في زمن العولمة خرج عن طبيعته التقليدية وصار إرهاباً عالمياً أو " مُعَوْلماً " ؛ الأمر الذي ترتب عليه وبإلحاح لا يدع مجالاً للتردد والنقاش حملة عالمية لمكافحة هذا الإرهاب الذي أبى إلا أن يلبس حُلَّة العولمة ، وهذا ما يستدعي بشكل ضروري لا مناص منه عولمة أمنية في زمن العولمة ..! وفي ظل هذه الأحداث المتسارعة وهذه الانقلابات الكبرى في مسار التاريخ الحديث ، يتساءل المرء في حيرة : هل كل ما يحدث تطور طبيعي وتلقائي لمجريات الأمور ، أم أن الرياح صارت تهب في الاتجاه الذي تشتهيه سفن العولمة ومن ورائها القوى المهيمنة التي تديرها في الاتجاهات التي تريدها ؟! .

والذي يهمني هنا في المقام الأول بصفتي مسلماً ومغترباً ؛ اتهام الإسلام والأمة الإسلامية قاطبة بأنها وراء أي تفجير إرهابي يحدث في العالم ، وكيف تُكال التهم جُزافاً فيصبح المسلمون جميعاً متهمين حتى تثبت براءتهم ، وهذه الحملة الهوجاء على الحضارة والقيم الإسلامية ، ومحاولة اختزال الإسلام ليصبح عنواناً لوجه واحد هو العنف والإرهاب ، وما تنطوي عليه هذه الحملة من تضليل للرأي العام وتزييف للحقائق وافتراء على التاريخ .

هل الإرهاب صناعة إسلامية ؟

الإرهاب لغة : التخويف والترويع ، وقد عُرِّف الإرهاب في اتفاقية جنيف لعام ١٩٧٣م لمنع ومقاومة الإرهاب بأنه : " أعمال إجرامية موجهة ضد دولة ما، يكون الهدف منها إثارة الرعب لدى أشخاص معينين أو جماعات من الأشخاص أو لدى العامة " ، كما عرفه مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف بما يأتي : " إن الإرهاب هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم ، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض " ، وإذا أخذنا

عنوان المقال : الإرهاب في زمن العولمة !	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

المعنى الذي يتفق عليه الجميع للإرهاب ، فسنجد أن الإرهاب بالمفهوم العام ليس وليد اليوم وإنما هو ظاهرة إنسانية ، وعنصر متأصل في أعماق التاريخ البشري بل حتى في أعماق النفس الإنسانية بعينها ، فالتاريخ البشري يعج منذ بدايته بأعمال وحركات عديدة يمكن أن توصف بالإرهابية ، انطلاقاً من قطاع الطرق والقراصنة وأشباهها إلى حركات السلب والنهب والاحتلال عبر كل العصور والأزمنة ..

وقد عانت أوروبا نفسها ردحاً طويلاً من الزمن - وإلى اليوم - من حركات تؤمن بالعنف ومن جماعات المافيا والمجرمين والخارجين عن القانون . ولا نود في هذه العجالة السفر طويلاً عبر التاريخ البشري بحثاً عن جذور الإرهاب بكل أشكاله ، بل سنكتفي بداية بذكر بعض الأمثلة السريعة التي جاءت في بعض الكتابات حول ظاهرة العنف والإرهاب :

ولعل أضخم جماعة " إرهابية " خارجة على القانون عرفتها القارة الأوروبية في القرن التاسع عشر ، والتي ضمت العديد من العصابات وقطاع الطرق ، وكان زعيمها ومؤسسها راهباً إيطالياً اسمه " سيروأنا نجياركو " فقد قرر بعد تماديه في احتراف الإجرام إنشاء جمعية لقطاع الطرق تضم كبار المجرمين وقتلة محترفين ، وقد أعلن عن ميلاد هذه الجمعية في قداس أقامه عام ١٨١٧م في كنيسة مهجورة ، وضمت هذه الجمعية قطاع الطرق وكثيراً من الرهبان الذين هربوا من أديرتهم واحتلوا مكاناً مهماً في الجمعية ، وأُطْلِق اسم " مواطن أوروبا " على أعضائها . وقد ظهرت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر في روسيا القيصرية اتجاهات ثورية تنظر للعنف كوسيلة وحيدة لحرق الفساد والعنف ، وكان لها فلاسفتها ومنظروها ، وقد استطاعت هذه الحركات زعزعة النظام القيصري بل وصلت حتى اغتيال القيصر الروسي في عام ١٨٨١م ، كما تمَّ في نفس العام عقد مؤتمر دولي في لندن شاركت فيه معظم الحركات السياسية الأوروبية التي آمنت بالعنف طريقاً للخلاص .

وقد برزت في القرن العشرين حركات سياسية تستعمل العنف للوصول إلى أهدافها ، ومن ضمنها حركات طائفية ومذهبية تطالب بحق تقرير المصير ، والتي لجأ معظمها إلى السلاح والعنف بعدما انسدت قنوات التفاهم والحوار ؛ كحركة الجيش الجمهوري الايرلندي (IRA) الذي يطالب بالانفصال عن بريطانيا على أساس قومي ومذهبي كاثوليكي . وهناك بعض الحركات القومية المحضة

عنوان المقال : الإرهاب في زمن العولمة !	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

مثل منظمة إيتا الباسكية (ITA) والتي تطالب بتحقيق وجود قومي مستقل للباسك في إسبانيا ، والتي تقوم على مدار عقود من الزمن وإلى أيامنا هذه بأعمال عنف إرهابية لإزعاج الحكومة وإرغامها على التفاوض . هذا بالإضافة إلى حركات في مختلف بقاع الأرض : كحركة التاميل في سيريلانكا ، والسيخ في الهند ، كما انتشرت منظمات ثورية في الستينات من القرن العشرين ذات طابع ماركسي ؛ كمنظمة " مارجيل " في البرازيل و " توباماروس " في الأوروغواي و " مونتونبروس " في الأرجنتين ، كما انتشرت في أوروبا الغربية إبان احتدام الحرب الباردة منظمات سرية مسلحة أحدثت إزعاجاً وإرباكاً كبيرين للأجهزة الأمنية في أوروبا ؛ كمنظمة " الألوية الحمراء " في إيطاليا و " الخلايا الثورية الشيوعية " في بلجيكا وجماعة " العمل المباشر " في فرنسا ... و " الجيش الأحمر " في اليابان وألمانيا . وأمريكا تعج وإلى يومنا هذا بميليشيات مسلحة ومنظمات إرهابية بعضها قديمة قدم تاريخ أمريكا من قبيل " فريمان " ، و " الأمم الآرية " ، و " جيش تحرير ميامي " وحادثة " أوكلاهوما سيتي " في عام ١٩٩٦م ومنفذها الذي ينتمي لإحدى هذه المنظمات ليست عنا ببعيد . أما إذا انتقلنا إلى نموذج آخر من الإرهاب الذي هو أبشع ومخاطره تمتد إلى نطاقات واسعة ألا وهو إرهاب الدولة ! فحدث ولا حرج .

أرجو أننا قد بينا من خلال هذه الإشارات السريعة هذا الظلم الفظيع والافتراء الكبير على الإسلام والمسلمين من خلال ما راج ويروج في هذه الأيام في أجهزة الإعلام وعلى لسان بعض الساسة والمثقفين حول " الإرهاب الإسلامي " وتسليط تهم الإرهاب والعنف على كل ما هو إسلامي ؛ وكأن العالم لم يعرف العنف والإرهاب إلا مع الإسلام والمسلمين !!؟

" الإرهاب " بين الضعفاء والأقوياء :

والمأساة الكبرى في مسألة الإرهاب تكمن في الاستخدام الفضفاض والمطاطي لكلمة " الإرهاب " ، وهذا الخلط يتجاوز كونه مشكلة لغوية ، بحيث أن المقاييس التي يتم بموجبها الحكم على أي عمل عنف بأنه إرهاب أم غير إرهاب أو مشروع أم غير مشروع ؛ هي في مجملها مقاييس تفرضها القوة والمصالح أكثر مما تفرضها مبادىء العدالة والقيم العليا ، وهذا يمكن ملاحظته عبر كل العصور ولا سيما تلك التي يسود فيها الظلم والاضطراب .

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٢ الموافق في رمضان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١٢ ميلادي

عنوان المقال : الإرهاب في زمن العولمة !	الكاتب : عبد العزيز بلحاج

والتاريخ يخبرنا بأن القوي هو الذي يملك دائماً رسم صورة الآخرين ؛ فالإمبراطورية الرومانية بالرغم من غطرستها وتجبرها في زمانها كانت تصف كل الشعوب الأخرى غير المنضوية تحت لوائها بالبربرية والهمجية ، والحركات الاستعمارية عبر كل العصور والأزمنة بالرغم من ويلاتها وجرائمها بحق الشعوب الضعيفة والمقهورة تصف بدورها كل مقاوم لجرائمها وحركات التحرر من نير غطرستها بالإرهاب ، وأن ما تقوم به هي شرعي وباسم الإنسانية والحضارة .

ولعل المثال الصارخ على هذه التهم الباطلة ما حدث للهنود الحمر في القارة الأمريكية ، فالإعلام نجح في طمس أكبر عملية إرهابية في التاريخ ؛ إبادة شعب كامل مسالم هو الهنود الحمر ، وجلب الأفارقة السود كعبيد واستخدامهم في الأعمال الشاقة ، فبالرغم من ذلك ظل الهنود الحمر هم الأشرار والمتوحشين في الأفلام وترسخت هذه الصورة في عقولنا !! .. وما كان يحدث إبان الحرب الباردة يُبين بشكل واضح مدى التحيز والتضليل في استعمال لفظ الإرهاب ، فالأفراد والمجموعات المطارَدة من قبل أحد المعسكرين بتهمة الإرهاب كانوا يسرحون ويمرحون في المعسكر الآخر ويُعتبرون أبطالاً . فلا عجب إذن مما يحدث في عصر العولمة ، فالمقاييس للحكم على الأمور مشوهة ومتحيزة إلى حد بعيد ، وهذا ما نلمسه حين يتم تسليط الأضواء على عنف الأفراد والجماعات ويتم غض الطرف عن إرهاب الدولة ، والذي بشاعته أوسع بكثير ؛كما حدث في البوسنة والهرسك وفي مناطق أفريقية متعددة ، والمسلسل الإجرامي الرهيب المستمر في فلسطين من قبل الصهاينة ، بل أقسى من ذلك تحظى هذه الجهات بكل أشكال الدعم والحماية ، في حين تم إدراج قوى التحرر المدافعة عن أراضيها وكرامتها .. في لائحة الإرهاب .

والأنكى من ذلك أن كثيراً من حركات العنف وجماعات من المرتزقة المنتشرة في كثير من بلدان العالم الثالث والتي تسعى في الأرض فساداً وتهدد أمن واستقرار هذه الدول ، يتم غض الطرف عن جرائمها وأفعالها بل وتحظى بالدعم الكافي من قبل قوى كبرى في العالم ؛ وهذا ما نراه جلياً في المناطق العذراء من أفريقيا البئيسة ! .

وهكذا نرى بأن الإرهاب في عصر العولمة والشفافية لا يزال تكتسيه الضبابية والغموض ، وأن مقاييس العولمة في حاجة ماسة إلى الموضوعية وكثير من العدالة، وإلا فستظل مضللة ومتحيزة وتخدم مصالح الأقوياء فقط كسابقاتها ! .

الإرهاب والعولمة :

إذا كان الذين قاموا بالأعمال المروعة في أمريكا يوم الثلاثاء ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م قد أعلنوا الحرب على العالم ، فقد انتصبت العولمة لمواجهتهم ، وهذا يدفع إلى طرح عدد من التساؤلات :

● هل الإرهاب العالمي في هذا الظرف بالذات وُلدَ بطريقة طبيعية ، أم أنه من قبيل أطفال الأنابيب ، بالخصوص إذا عرفنا بأن الإرهاب ليس جديداً على العالم ، وليست هذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها أمريكا لأعمال إرهابية ، وأن بعض هذه الأعمال في السابق كانت أكثر وضوحاً لكون الجهات التي قامت بها فعلاً خارجية ، ووقعت خارج أراضيها ، وبالتالي تمنح لها مبررات أكثر بشن حملة عالمية على الإرهاب العالمي ؟!!

● هل كان الإرهاب بحاجة إلى المساس بهيبة الولايات المتحدة الأمريكية ليتخذ صفة العالمية ؟ هذا إذا علمنا أن أقطاراً كثيرة لا تزال تئن تحت وطأة الإرهاب والعنف لعقود من الزمن ولا أحد يبالي ؟! أم أن القطب الواحد يرص أسس الإمبراطورية العالمية الأخيرة التي نبأه بها فرانسيس فوكوياما ؟! خصوصاً وأن عولمة الإرهاب تفرض بلا جدل أو تردد : " إما معنا أو مع الإرهاب " عولمة بوليسية واستخباراتية تجعل رُبان العولمة يُخضع العالم لمراقبته وإرادته ، وبذلك تكتمل حلقات الهيمنة بشكلها التقليدي القديم ولكن بحُلة عصرية وحديثة ، وبالتالي تصدق تحذيرات الكثير من أحرار العالم وتوجس المستضعفين في الأرض من مخاطر العولمة .

● هل فقدت العولمة كل القيم المثالية والحضارية التي طالما تزينت بها ، وفقدت أعصابها في مواجهة هذا الإرهاب العالمي ، ولماذا تسرعت لأسلوب العنف كحل وحيد في مواجهة ظاهرة العنف بالرغم من أن كل التجارب تؤكد بأن العنف وحده لا ينجح في استئصال هذه الظاهرة ، إذا ما أُسقطت

الحلول الأخرى كقنوات الحوار والتفاهم ، واستئصال جذور هذه الظاهرة كالفقر والبطالة وتفشي الظلم والفساد ؟! وبالعكس من ذلك فالتاريخ والمنطق يؤكدان بأن العنف لا يأتي إلا بالعنف ، والكراهية لا تلد إلا الكراهية .

● وإذا سلَّمنا بعولمة الإرهاب ، فإن هناك الكثير في العالم ممن أن يرون وحشية العولمة وسلبياتها هي التي أفرزت هذا الإرهاب العالمي العنيف ؛ لأن الإرهاب عادة هو سلاح الضعيف بحيث يكون الخصمُ شرساً وأقوى في المواجهة المتكافئة ، ولا يوفر فرص التفاهم والحوار السلمي ، وهذه الرؤية تثير الكثير من علامات الاستفهام حول ظاهرة العولمة وتفرض عليها مراجعة حساباتها والعمل بجدية على معالجة إفرازاتها السلبية ، وتصحيح مسار العولمة حتى تخدم مصالح جميع الشعوب وتستأصل كل أشكال الظلم وتنشر السلام بدل الحروب والصراعات وتُعمق الأخوة الإنسانية وتُقويها .

... وهكذا وفي ظل هذه الظروف العصيبة وهذه الويلات التي تتوالى على البشرية جمعاء ، أصبح لزاماً على كل القيادات الفكرية والسياسية .. وعلى كل أحرار العالم أكثر من أي وقت مضى أن يُراجعوا الحسابات وينظروا إلى الأوضاع بعين الصدق والإخلاص ، ويبحثوا عن حلول للمعضلات المنتشرة في الأرض . وعلى الأقوياء المراهنين على العولمة أن يتجردوا من منطق المصالح والعقلية النفعية وفلسفة الربح والخسارة ولو على حساب الآخرين ومستقبل العالم ، وأن يجندوا شعوب العالم نحو الأهداف المشتركة ويبحثوا عن الخلاص الذي يُجنب المزيد من الكوارث والدمار .. وإلا فلنتربص جميعاً أحداثاً أشد وأمَرَّ وقد لا ينجو منها أحد !!

إن الإنسانية تمر في هذه المرحلة من التاريخ بمِحَكّ صعب ، وهي معرضة لمصير مشترك ، وأصبحت في أمس الحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى لَمِّ شملها وتوحيد جهودها في مجابهة التحديات المشتركة .. قبل أن يستفحل الأمر ويفوت الأوان.